

أين أنا؟

للأستاذ محمد سعيد العريان

—

« أين أنت يا صديقي؟ منذ كم ألتبس لُقبك فلا أجد سيلاً إليك! »

هكذا سألتني صديق وقد لقبني على الطريق منطلقاً لبعض شأني على غير مياد... فأخفت أسأل نفسي سؤاله إياي: « أين أنا؟ »

هأنذا واقف بإزائه على حيد الشارع أستمع إليه وهو يفيض في الحديث سائلاً ومجيباً، وعاتياً وعاذراً؛ ولكنني مع ذلك لست هنا! إن نفسي هناك... بل إنني على التحديد لا أعرف أين نفسي! في هذا المكان الذي يجمعني وإياه، كنتُ وكان، ولكنني مع ذلك لا أكاد أشعر أنني وإياه في ذاك المكان! « أين أنت يا صديقي؟ »

وأدخلتك المدرسة وعنيت بتهديك وتثقيفك. احذر من أن ترفع يدها إلى السماء ضدك فتسمع الآلهة شكاتها « ويظهر من هذا جلياً أن رياسة الأسرة في ذلك الحين كانت للأُم حيث يبنينا الكتاب أنها هي التي عنيت بتهديب الولد وأدخلته المدرسة أما الكتاب الثالث فهو سياسي يمت وعنوانه تعاليم أمينعمت الأول وهو غاية في الحكمة والحيطه، كتبه إلى أميته يحذره من حولهم من أهل البلاط ومن دسائهم الكثيره

وهنا أكتفي بما تقدم مبرهنة على أن مصر بأديها القديم قد كانت أستاذة الدنيا ومعلمة الوجود، وحسي أن أخم بقول مسيو ساتهلير: « لست أريد أن أرد على الدين يهيمون اليونان بدم معرفتهم القراءة والكتابة إلا بهذه الكلمة وهي: كيف يجمل اليونان القراءة والكتابة وقد كانت تربطهم بالصريين صلات قوية!! »

وجدير بهذا كله أن ينبته غافلنا، ويشمرنا بمحاجتنا إلى إيجاد أدب قومي يصور المزاج العقلي المصري، ويستمد من صميم الحياة المصرية مادته وعناصره ومساكنه، فيمثل حالتنا الاجتماعية، وحركتنا الفكرية، والمصر الذي نعيش فيه لكي تكون لأدبنا شخصية بارزة متميزة، تضمن لنا المكان المال الذي نريد أن نشغله بحق في خريطة الوجود « الزهرة »

عجيباً! إنه ليراني بإزائه وإنني لأراه، وإنه ليعرف مكانه من نفسي؛ وإن الحب الذي وحد بين قلوبنا نخلين بأن يلهمه الجواب ولكنه مع ذلك يسأل، ولكنني مع ذلك لا أملك الجواب! « أين أنا؟ »

لقد أخطر هذا السؤال في بالي معاني وصوراً جمة، تذكّرني حيث كنا... ويوم كنا... وتشر على عيني صحائف من ذكريات الماضي ومشكلة الحاضر وأمان المستقبل!

هأنذا واقف بإزائه على حيد الشارع جسداً إلى جسد، فإني لَمعه، ولكنني لست في هذا المكان! وإنني لبعيد عنه، ولكنه مسى في سياحة فكرية طويلة تنتقل حيث شئنا في ذكريات الماضي الغابر ونطوى السنين في لحظات!

أُتراه كان يراني؟ أُتراه كان يعرف أين مكاني؟ هل كان بإزائه في تلك اللحظة إلا جسداً وصورة؟

إنه ليسألني: « أين أنت؟... » وإنني لأسأل نفسي... هل كنتُ معه؟ هل كنتُ بعيداً عنه؟ هل كان يجمعني وإياه مكان؟ هل لقبني جسداً أم لقبني فكراً وعاطفة؟ هل كان الذي مسى هنا على حيد الشارع هو الذي مسى هناك في وهمي وفي ذكرياتي؟ أين كنتُ وأين كان؟ أين وأين؟

ليت شعري ما الحقيقة؟ وما الخيال؟ أين يلتقيان وأين يفترقان؟ وأين الحد الذي يفصل بين دنيا المنظور ودنيا التصور؟

هأنذا ما أزال أسأل نفسي: « أين أنا؟ » وهذا سؤال صديقي ما يزال يرن في أذني: « أين أنت؟ » وما تزال يدي في يده، وما زلتنا واقفين جسداً إلى جسد على حيد الطريق!

وتحدثت صديقي إلى ما شاء وتحدثت إليه، وهم أن ينصرف لشأنه وهممت؛ وعاد يسألني:

« وأين ألقاك بعد؟ »

أين يلقاني وأين ألقاه؟

ها هو ذا يوليني ظهره ماضياً إلى غايته، ولكنه مسى، ولكنني معه، ولكنه يسألني: « أين ألقاك؟ »

أُتراني وإياه الساعة على فراق أو على لقاء؟

منذ لحظة كان وكنتُ وإنه ليسألني: أين أنت؟ وإنه ليسألني الساعة أين ألقاك! وما افترقتنا بعد!

أُتراني معه هناك أحبه في طريقه أم تُراه هنا يصحبنى؟ جسدان كانا معاً منذ لحظة فافترقا ومضى كلٌّ منهما على

ما أنا؟ حين تتعلق أوهامى بما ليس فى يدي؟
ما أنا؟ حين تضى بي الذكريات إلى غير عالمى وتحاول أن
تميش بي فى غير أياي؟
ما أنا؟ حين أفكر فيك، أو فيه، أو فيها وأغفل عن
حقيقة نفسى؟

ما أنا حينئذ بشيء؟ فلا أنا هنا ولا أنا هناك ولكننى أشلاء!
نحب الشيء ونتمناه، وتخييل ساعة الظفر به؛ فنحس
فى أعماقنا ساعة نحب ونتمنى وتخييل — إننا لا نشعر بوجودنا
الكامل فى أنفسنا؛ لأن الشيء الذى يكتمل وجودنا ليس فى يدينا؛
ثم نظفر بما كنا نحب ونتمنى وتخييل، فلا نشعر حينئذ بوجودنا
الكامل فى أنفسنا؛ لأن الشيء الذى يكتمل وجودنا لا يمكن
أن يأتي من خارج أنفسنا!

ونأسى على ما فات، وتلهف على سوائف اللذات، وتخييل
عودة الماضى إلينا أو رجعتنا إليه؛ فأنحس ساعة نأسى وتلهف
وتخييل أننا أحياء لنا وجود محدود بزمان ومكان؛ ولكننا
فكرة أو حلم أو أمنية: صورة ما لها مثال، وهم ما له حقيقة!
... ولكن الإنسان على ذلك لا بد له من أمل يمسى إليه،
أو ماضٍ يحرص على ذكره؛ أفيكون ذلك لأن الله الذى برأ الخلق
حين منح الإنسان نعمة الوجود قد حرمه نعمة الشعور بالوجود؟
إلا الطفل: إنه هو وحده الذى يمشى فى حقيقة الوجود،
ليس له ماضٍ وليس له أمل؛ إنه هو ونفسه شئ واحد منذ كان
إلى أن ياذن الله! ولكنه لا يدرى! ولكنه لا يدرى!
تعاليت يا رب! شهدت أن لا إله إلا أنت؛ لأنك أنت
وحدك الوجود؛ وكل ما عداك ظلال وأوهام وأباطيل!
محمد - هيب العريانه

شرح منهج التعليم الأناهي

كتاب فى جزأين طبعته مطبعة الرسالة للمرة الثالثة يشمل:
(الدين. الأخلاق. التربية الوطنية. المحادثة والإنشاء. الإملاء.
المحفوظات. الصحة. التعليم المنزلى. الأشياء. التاريخ.
الجغرافيا) لجميع الفرق بين وبنات. مزينا بالخرائط والرسم.
ثمان الجزء ٥٠ ملياً ترسل على مكتب بريد منية سمود باسم
عبد المؤمن محمد النقاش المدرس بمدرسة البنات.

وجبه، ولكنه ما زال مى يصحبنى فى طريقى وما أزال أصعبه لاريب
أنا الذى معه هناك بناجيه فى طريقه أم أنا الذى هنا؟
أهو الذى مى الساعة أحدث إليه أم هو الذى مضى وخلفنى؟
اثنان هنا: أنا وهو، واثنان هناك: هو وأنا، واثنان كانا
جسداً إلى جسد يتناظران على حيد الشارع منذ قليل...!
أى هؤلاء أنا وأبيهم هو؟.. أيتنا الحقيقة وأيتنا الخيال؟..
أنا واحد أم اثنان؟.. وهو، ما هو؟ وكم هو؟
إننى أنا مع نفسى الساعة لاريب، فمن ذلك الذى يزعم صاحبى
فى وهمه أنه يماشيه ويُسِرُّ إليه النجوى؟
وإنى لأشعر أن صاحبى هو مى الساعة؛ فمن ذلك الذى مضى
بميداً؟
أترى ذلك الذى مضى بميداً يعرف هذا الذى مى أو ينكره؟
أم ترانى أعرف ذلك الذى يماشيه صديقى وزعم أنه أنا
وما هو أنا؟

يا عجبا! إننى لا أكاد أنكر نفسى!
ها هنا أصل وصورة؛ فنذا يمايز بينهما؟
ها هنا حقيقة وظل؛ فأى الاثنين أنا؟
... وطال على الطريق وما ظفرت بجواب؛ وبرمت بصاحبى
الذى كان يماشيني وأناجيه فأنسيت ذكره؛ وأحسب صاحبى
الذى هناك قد ملّ ملاتنى فأنسى ذكرى... ..
وشمرت نجاة كأنما ثابت إلى نفسى...!
وكانما كان جزء منى بميداً عنى فأب إلى
وأحسست إحساس الحى بوجوده!
ووجدت بعد لآى جواب ما سألت نفسى!
«هأنذا... هأنذا... إننى أنا هنا!»
أين كنت؟ ومن أين عدت؟
وهل كنت شيئاً قبل له كيان وله مكان؟
سَلِ الطفل ساعة مولده: أين كنت أيها الوليد قبل أن تصير
جينياً فى بطن أمك؟

فلو عقل السؤال وعنى الجواب لا أطاق
سَلهُ أولاً: هل كنت؟ قبل أن تسأل: أين كنت؟
أنا ونفسى شئ واحد: لو انفصل منهما شئ عن شئ
لما كان ثمة شئ!
ما أنا؟ حين يكون خيالى بميداً عنى؟